الكواكب الدرية

تسبيع

البردة البويصيرية في مدح خير البرية

العلامة الإمام ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر البيضاوي

مولاي صلِّ وسلم دائما أبداً ... على حبيبك خيرِ الخلقِ كُلِّهِمِ
اللّه يعلمُ ما بالقَلْبِ من أَلَمٍ ... ومن غرامٍ بِأَحْشَاءٍ ومن سِقَمِ
على فراق فريق حلَّ في الحَرَمِ ... فقلتُ لمَّا هَمَى دمعِي بمُنْسَجِمِ
على العقِيقِ عَقِيقاً غيرَ منْحَسِمِ

أَمِنْ تَذَكُّرِ جيرانٍ بذِي سلمِ ... مزَجْتَ دمعاً جرى من مُقْلَةٍ بِدَمِ
اللّهُ لوَّعَ أَحْشَائي بِضارِمَةٍ ... لا ينْطَفي حرُّها يَوماً بِسَاجِمَةٍ
وكم سألتُ ونفسي غيرُ سالِمَةٍ ... هلْ جاءَ فَيْحُ قُبَا منها بناسِمَةٍ
أم من لواعِجِ أشْوَاقٍ ملازِمَةٍ

أم هبت الريح من تِلْقاءِ كاظِمَةٍ ... وأومضَ البرقُ في الظَّلْماءِ من إِضَمِ
اللّه أفهَمَ قلبي منذُ كنتُ فَتَى ... فَلاَ تَرَانِي لِغَيْرِ الحُبِّ مُلْتَفِتَا
مَتَى خَلاَ مِنْهُمُ طَيُّ الضَّمِيرِ مَتَى ... كَمْ عَاذِلٍ عادَ لِي بِالعَذْلِ مَا سَكَتَا
وصاحِبٍ صاحَ بي لمَّا إليَّ أتَى

فما لِعَيْنَيْكَ إنْ قُلْتَ اكْفُفَا هَمَتَا ... وما لقلبِكَ إن قلتَ استفِقْ يَهِمِ
اللّه يشْهدُ أنَّ الصَّبَّ مُنْكَظِمٌ ... مِنَ الْغَرَامِ وَفِي أحْشَائِهِ أَلَمٌ
كَأَنَّ فاهُ مِنَ الكِتْمانِ مُلْتَجِمٌ ... ودمْعُ عيْنَيْهِ منْ جَفْنَيْهِ مُنْسَجِمٌ
من حرِّ نارٍ لها في قلبِهِ ضَرَمٌ

أيَحْسَبُ الصَّبُّ أنَّ الحبَّ مُنْكَتِمٌ ... ما بيْنَ مُنْسَجِمٍ منهُ ومُضْطَرِمِ
اللّه يُذْهِبُ ما بالقلبِ منْ عِلَلٍ ... ومنْ سِقَمٍ حَشَا الأَحْشَاءَ منْ غُلَلِ
ومنْ دُمُوعٍ جَرَحْنَ الخَدَّ من بلَلٍ ... بزَوْرَةٍ لفَرِيدٍ حَلَّ في حُلَلِ
إنْ حَلَّها مُذْنِبٌ أخْلَتْهُ منْ خَلَلِ

لولا الهَوَى لمْ تُرِقْ دَمْعاً على طَلَلٍ ... ولاَ أَرِقْتَ لِذِكْرِ البَانِ والعَلَمِ

اللّه يُطْفِئُ ناراً بالحَشَا اتَّقَدَتْ أسَلْتُ دَمْعِي من الأجْفانِ ماخَمَدَتْ
أشارَ قَلبي لِطَرْفي عِنْدَمَا وَرَدَتْ شُهُودُ وَجْدِي على خَدِّي بِما وَجَدَتْ
وَكم إشارَةُ وَجْدٍ منكَ قَدْ وُجِدَتْ

فَكيفَ تُنكِرُ حبّاً بعدمَا شَهِدَتْ بِهِ عليكَ عُدولُ الدَّمعِ والسِّقَمِ
اللّهُ يرحَمُ صَبّاً في الهوَى افْتَتَنا ما حالفَ السُّهْدَ حتى خالفَ الوَسَنا
وأنت تُخفِي الهوى والوَجدَ والحَزَنا أليس قد فُهْتَ عن أسرارهم علنا
وقلتَ قد نِلتُ من هجرانهم مِحَنا

وأثبت الوجدُ خطَّيْ عبرَةٍ وضَنَى مِثْل البهارِ على خدَّيكَ والعَنَمِ
اللّه عن حيِّ أهل الحيِّ أفرَقَني وهَمُّ هَمِّي بأحزاني يحرِّقُني
والغَمُّ عَمَّ وهَمْعُ الدَّمعِ أغرقني فقلتُ لَمَّا أتى نَوْمِي ليسْرِقَني
والطَّيفُ ضَيفي أتى باللطفِ يطرُقُني

نعم سرَى طيفُ مَنْ أهوى فأرَّقَني والحبُّ يعترِضُ اللذَّاتِ بالألمِ
اللّه ألقى أُموراتٍ مُقَدَّرةً في لوحِهِ قِدَماً كانت مُسَطَّرَةً
قلوبُ أهلِ الهَوى أضْحتْ مُكَسَّرةً دموعهم بالدِّما باتت مُكَدَّرَةً
وحالُهم أصبحتْ بالوَجْدِ مُخْبِرَةً

يا لائِمي في الهوى العُذْرِي معذِرَةً مني إليكَ ولوْ أنصَفْتَ لمْ تَلُمِ
اللّه لوَّعَني بالحبِّ من صِغَري فلا مفَرَّ من الْمَحْتُومِ في القَدَرِ
إلى متى اللومُ يا خالي من الفِكرِ ألاَ ترى الدَّمعَ من عينَيَّ كالمطَرِ
والجسمُ ذابَ من التبريحِ والغِيَرِ

عَدَتْكَ حالِيَ لا سرٌّ بمُسْتَتِرٍ عن الوُشَاةِ ولا دائِي بمُنْحَسِمِ

اللّه سِرُّ الهوى في القلب يُودِعُهُ ... من الذي يا لئيمَ اللومِ يمنعُهُ
يا لائمي كُفَّ قلبُ الصَّبِّ يوجِعُهُ ... من الملامِ وليسَ اللومُ يردعُهُ
سألتك اللّه إن اللومَ يصْدَعُهُ

محضْتَني النُّصْحَ لكن لستُ أسمَعُهُ ... إن المحِبَّ عن العُذَّال في صَمَمِ
اللّهُ أرجوه بالتَّوْحيدِ يختِمُ لي ... عند الممات وهذا منتهى أملي
مضى زماني ولم أُصْلِحْ بهِ عملي ... وجاءَنُصْحِيمَشِيبُالرَّأْسِمنأجلِ
ولستُ أصْغي لنُصْحٍ منه واخَجَلي

إنِّي اتهمتُ نصيح الشيْبِ في عَذَلٍ ... والشَّيْبُ أبعَدُ في نُصْحٍ عن التُّهَمِ
اللّه يُلهِمُ نفسي الرُّشْد إن وُعِظتْ ... ويصطفيهابقولِالصِّدْقِإنلَفَظَتْ
كم ذاوَعَظتُ وهْيَ للوَعْظِ ما لَحَظَتْ ... وكلما قُلتُ رِقِّي للنُّهى غَلُظَتْ
وفي مَراحِ الهوى نامت وما يَقَظَتْ

فإنَّ أمّارَتي بالسُّوءِ ما اتَّعَظَتْ ... من جهلها بنذير الشيبِ والهرَمِ
اللّه يحجبُ عنها العُجْبَ والبَطَرا ... لأنها تركتني في الهوى سَكِرا
عجزتُ في أمرها كم أقدحُ الفِكَرا ... وليس تقرأُ لي من قبلها سَطَرا
من الملوك وأهل العلم والفُقَرا

ولا أعَدَّتْ من الفِعْلِ الجميل قِرَى ... ضيفٍ أَلَمَّ برأسي غيرَ مُحْتَشِمِ
اللّه أرجوه أن الذنبَ يغفرهُ ... وكَسْرَ قلبي بالغُفرانِ يَجْبُرُهُ
مضَى زمان الصِّبى واللّه يستُرُهُ ... وجاء شيبي الذي كنتُ أحْذَرُهُ
مخبِّراً أن عمري راح أكثرُهُ

لو كنتُ أعلمُ أني ما أوقِّرُهُ ... كتمتُ سرّاً بدا لي منهُ بالكتم

اللّه يحرسُ نفسي من عَمايَتِها لعلَّ تَحْظَى بِخَيْرٍ في نِهَايَتِهَا
كم حمَّلتني ذُنوبا في بِدايَتِهَا وكم تَرُومُ مزيداً عن كِفَايَتِهَا
ولَيْسَ تأمُرُ خيراً في وَلاَيَتها

مَنْ لي بِرَدِّ جِماحٍ من غوايتها كما يُرَدُّ جماحُ الخيلِ باللُّجُمِ
اللّهُ يحفظُها من سوء كَبْوتِها بهُوَّة اللهوِ إذْ تَهْوي لشِقْوَتها
هِنْهَا وذَرْها ولا تَرْكَنْ لذِرْوَتها وإن دَعَتْكَ لأمرٍ دَعْ لِدَعْوَتها
فهي التي أحرقَتْني سوء قَسْوَتِها

فلا تَرُمْ بالمعاصي كَسْرَ شهوتها إن الطعام يُقَوِّي شهوة النَّهِم
اللّه يرفَعُ عنها العُجْبَ والكسلاَ لأنها ألبَسَتْني في الهوى حُلَلاً
فلا تَدَعْها تَسيرُ العُجْب والخُيلاَ وكُنْ عَنِ اللهوِ يا مغرورُ منعَزِلاً
واسمع لما قال فيها شيخُنا مثلا

والنفسُ كالطفلِ إن تهمله شبَّ على حب الرضاع وإن تفطِمهُ ينفَطِم
اللّه آتاكَ عقْلاً كيْ تُعَلِّيَهُ على هوى النَّفْسِ رَخِّصْها كي تُغَلِّيهُ
ونُورَهُ فاجْتَهِدْ حتى تُجَلِّيهُ على فُؤَادِك واحذَرْ أن تُخَلِّيهُ
من زينةِ الزهدِ فيها كي تُحَلِّيهُ

فاصرِفْ هَواها وحاذِرْ أن تُوَلِّيهُ إن الهوى ما تولَّى يُصْمِ أو يَصِم
اللّه أَكْبَرُ إن النَّفْسَ ظَالمةٌ وإنَّهَا بِأُمُورِ الشرِّ عالَمَةُ
ترومُ لو أنَّهَا لِلْعَقْلِ خاصِمَةٌ فاحذر عليها إذا ما هِيْ مخاصمةٌ
واعكس رضاها فإن النفس آثِمَةٌ

وراعها وهي في الأعمال سائِمَةٌ وإن هي استحلَتِ المرْعى فلا تُسِم

اللّه يؤتيك في الدارين نافلةً ... إن رجَّعَتْ عنكَ نفْساً منك خاتلةً
فإنها لم تزل للغش مائلة ... فجنب القلبَ يا مغرور غائلة
منها ودعها مدى الأيام خامِلَةً

كم حسَّنَتْ لذّةً للمرءِ قاتِلَةً ... من حيثُ لم يدرِ أن السُّمَّ في الدَّسَمِ
اللّه يُخليك من رَغَبٍ ومن خِدَعٍ ... إن كنتَ للنُّصْحِ يا هذا بمستمعِ
كم أُكْلَةٍ أهْلَكَتْ من غيرِ ما وجَعٍ ... وجَوْعَةٍ فَتَّكَت في الخلق من ورعِ
فكن بما جاء من قوتٍ بمُقتنِعِ

واخْشَ الدَّسَائِسَ من جوعٍ ومن شبَعِ ... فرُبَّ مَخْمَصَةٍ شرٌّ من التُّخَمِ
اللّه يرضى إذا ما النفس قد مُلِئَتْ ... خوفا ورعبا وتخليصا بما هدأتْ
وإن تَرُمْ أنها مِمَّا بها بَرِئَتْ ... وإن تراها بغير اللّه قد كَلِئَتْ
فحُثُّا للتُّقَى حَثّاً وإن خَلَأَتْ

واستفرِغِ الدَّمْعَ من عينٍ قد امتلأَتْ ... من المحارِمِ والْزَمْ حِمْيَةَ النَّدَمِ
اللّه يرفع عنها الضُّرَّ والأَلَما ... إن أنتَ حقَّقْتَ ما يأتي به نِعَما
وإن تكن بجميل السَّتْرِ مُعْتَصِما ... فقدِّمِ الخَوْفَ واجْعَلْ خوفَك النَّدَمَ
ومُقْلَتَيْكَ على التَّفْرِيطِ سُحَّهُمَا

وخالفِ النَّفْسَ والشَّيْطانَ واعْصِهِما ... وإن هُما مَحَّضَاك النُّصحَ فاتَّهِمِ
اللّه يُخزِيهما كم أقسما قَسَما ... باللّه زورا وكم للقلبِ قد قَصَما
فاحذَرْهُما فهما كم هتَّكا حَرَما ... للخلقِ بالمَلْقِ لا بالحَقِّ وابتسَمَا
وكن إذا حكما للحُكمِ مُتَّهِما

ولا تُطِعْ منهما خصما ولا حكما ... فأنت تعرفُ كيد الخصم والحكم

اللّٰه يعفو بفضلٍ منه عن زللٍ وعن خطايا عظيماتٍ وعن خللِ
جنيتُها في زمان ضاع في كسلٍ فكُن عن زمن التفريط في وجلِ
ولا تملْ نحو ما قد طال من أملٍ

أستَغْفِرُ اللّٰه من قولٍ بلا عملٍ لقد نسبتُ به نسلاً لذِي عُقُم
اللّٰه يحميك من ريبٍ ومن شُبَهٍ إن كنتَ للنُّصحِ يا هذا بمنتبهِ
وتسمع الوعظَ كي تحظَى بمَشْرَبِه إن تسْعَ ما خَابَ ساعٍ في تَسَبُّبِهِ
ودَعْ قُلَيْبَ المُعَنَّى في تَلَهُّبِهِ

أمرتُكَ الخيرَ لكنْ ما ائتَمَرْتُ بهِ وما استقَمتُ فما قولي لك اسْتَقِم
اللّٰه يجعلُ هذي النفسَ قابلَةً للخيرِ والرشْدِ والإنصافِ مائِلَةً
لَعَلَّ تأْمنُ يومَ الحَشْرِ غائلةً إذا أتيتُ وكَمْ حمَّلتُ راحِلَةً
من الذنوب وكم أوسقتُ زاملةً

ولاَ تزَوَّدْتُ قَبْلَ الموتِ نافِلةً ولم أُصَلِّ سِوى فَرْضٍ ولمْ أصُمِ
اللّٰه يُذهِبُ عني الوُجْدَ والوجَلاَ إذا أتيتُ لِيومٍ حلَّ فيه بلاَ
وقيلَ هذا الذي لم يسلُكِ السُّبُلا أقول ياربِّ هَا قَدْ جِئْتُ مبتَهِلاَ
ولَيْسَ قَدَّمْتُ لِي علماً ولا عَمَلاً

ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظَّلاَمَ إلَى أن اشْتَكَتْ قَدَمَاهُ الضُّرَّ مِنْ وَرَمِ
اللّٰه آواه لَمَّا أنْ إلَيهِ أَوَى فليسَ ينطِقُ فِي أحْكَامِهِ بِهَوَى
ولَيْسَ عَنْ غَيْرِ مَوْلاَهُ الكَرِيمِ رَوَى ومُعْظَمُ الفَضْلِ أنَّ اللّٰه عَنْهُ زَوَى
جَمْعَ الحُطَامِ ولَوْ رامَ الكُنُوزَ حَوَى

وشدَّ مِنْ سَغَبٍ أَحْشاءَهُ وطوى تحت الحِجَارَةِ كَشْحاً مُتْرَفَ الأدَمِ

اللّه وَالاَهُ مَا يَهْوَاهُ مِنْ رُتَبٍ وزادَهُ رِفْعَةً في العِلْمِ والأدَبِ
نَعَم وَجاءَتْه دُنْيَانَا بِلاَ تَعَبٍ أَشَاحَ عنها ولم يَرْكَنْ إلَى رَغَبِ
وَعَاشَ فيهَا قَلِيلَ المَالِ وَالنَّشَبِ

وراودَتهُ الجبالُ الشُّمُّ مِن ذَهَبٍ عن نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمِ
اللّه خيَّرَهُ فالخيرُ خِيرتُهُ والعَدْلُ والبذْلُ والإحْسَانُ سِيرَتُهُ
والعفوُ والصَّفْحُ والإنْصَافُ مِيرَتُهُ كَمْ كَانَ يَطْوِي وَفِي الإنْعَامِ جِيرَتهُ
ولَيسَ تَصْبُو لِدُنْيَانَا سَرِيرَتُهُ

وأَكَّدَتْ زُهْدَهُ فيها ضَرُورَتُهُ إنَّ الضَّرُورَةَ لاَ تَعْدُو عَنِ العِصَمِ
اللّه زَيَّنَهُ بالحُسْنِ فهوَ حَسَنْ لَمَّا لمولاهُ في كلِّ الأُمورِ ركَنْ
أوى إلى اللّه في سرٍّ له وَعَلَنْ لا يَبْتَغِي من دِيَّارِ المَوْتِ مُنْذُ سَكَنْ
سِوَى الحَلاَلِ لِقُوتٍ أو لِسَتْرِ بَدَنْ

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورةُ منْ لولاه لم تُخْرَجِ الدُّنيا من العَدَمِ
اللّه بالمدحِ للمُختارِ مَنَّ عَلَي عَسَى يُرى لِيَ بين المادِحِينَ حُلَي
إذا أتيتُ لأقرأَ الصُّحْفَ من عَمَلَي مَا لِي سِوَى مَنْ لهُ فَضْلٌ يَشيرُ إلي
وهو الذي لَمْ يشُبْ وَجْهَ القَبولِ عَلَي

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَوْنَيْنِ والثَّقَلَيـ ـنِ والفَرِيقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ
اللّه ربُّ العُلَى بالحكمِ مُنْفَرِدٌ لاَ زَوْجَ لاَ وَالِدٌ كَلاَّ وَلاَ وَلَدٌ
أوحى إلى الرُّسْلِ آياتٌ لها مَدَدٌ يفيضُ منها علومٌ كلها رَشَدٌ
وكُلُّهُمْ بِرَسُولِ اللّه مُعْتَمِدٌ

نَبِيُّنَا الآمِرُ النَّاهِي فَلاَ أحدٌ أبرَّ في قَوْلٍ لاَ مِنْهُ ولا نَعَمِ

اللّٰه أكرمه فالبرُّ طاعتُهُ ... وليس في الخلقِ مَنْ أُوتِي براعتهُ
أتى بخيرٍ فنالتهُ جماعتهُ ... وفي القيامة تُحْمِينَا ضراعَتُهُ
كما حمتنا من الأعْدا شجاعَتُهُ

هو الحبيبُ الذي تُرْجَى شفاعتُهُ ... لكل هولٍ من الأهوال مُقْتَحَمِ
اللّٰه ربٌّ تعالى في تَحَبُّبِهِ ... بَدَا بِخَلْقِ نَبِيٍّ يُستَضاءُ بهِ
ما زال مُسْتتِراً في حُجْبِ غَيْهَبِهِ ... حتى أتَى وجميعُ النَّاس في شُبَهِ
فقام فينا بدينٍ غيرِ مُشْتَبِهِ

دعا إلى اللّٰه فالمُسْتَمْسِكون بهِ ... مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلٍ غيْرِ مُنفَصِمِ
اللّٰه نجَّى به نُوحاً منَ الغرقِ ... كذاك نجى لإبراهيمَ من حَرَقِ
أقسمت باللّٰه ربِّ الناس والفلقِ ... وحَقَّ مَنْ خَلَقَ الإنسانَ من علَقِ
إنَّ الذي أخْجَلَ الأقْمَارَ فِي غَسَقِ

فاقَ النَّبيين في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ ... ولَمْ يُدَانُوه في علمٍ ولاَ كَرَمِ
اللّٰه أرسلَه والعلمُ مندرسٌ ... والناس في فترةٍ والوقتُ مُنعَكِسٌ
أتى بنور الهدى والأمرُ مُلتَبِسٌ ... وجاد بالجودِ حيثُ الجودُ منْحَبِسٌ
فما منَ الرُّسْلِ إلاَّ منه مقتبسٌ

وكلهم من رسولِ اللّٰه مُلْتَمِسٌ ... غَرْفاً من البحرِ أو رَشْفاً من الدِّيَمِ
اللّٰه جاعِلُهُ بَحْراً لِمَدِّهِمِ ... فَمُذْ صفا قدْ صفا مَشْروبُ وِرْدِهِمِ
جميعُهُمْ شربوا منه بِجَهْدِهِمِ ... فنالهم وجدُ سَامِي فوق وَجْدِهِمِ
فلازموا مذهبَ الهادِي بِقَصْدِهِمِ

وواقفون لديهِ عِندَ حدِّهِمِ ... من نقطَةَ العلمِ أومن شَكْلَةِ الحكمِ

اللّه كَمَّلَ مَنْ في اللّه غيرَتُهُ ولم تَزَلْ في رضا المولى بصيرتُهُ
وليس تبدو لراجيهِ ضَرُورَتُهُ وفرَّقَتْ عُصَبَ الأحزابِ سَوْرَتُهُ
من بعد ما حقَّقَ البَأسا عشيرته

فهو الذي تمَّ معناه وصورتُهُ ثم اصطفاهُ حبيباً بارئُ النَّسَمِ
اللّه مَلَّكَهُ أعلى خزائنِهِ فاستخرجَ الدُّرَّ يَزهُو من معادِنِهِ
وزحزحَ الشِّرْكَ حقّاً من مساكِنِهِ ودمَّرَ الكفر في أقصى أماكِنِهِ
نعم وجاد علينا من مَيَامِنِهِ

منزَّهٌ عن شريكٍ في محاسِنِهِ فجوهر الحسنِ فيهِ غيرُ منقسِمِ
اللّه أحيا بأحياهُمْ لحَيِّهِمِ من بعدما هَلَكوا جمعاً بِغَيِّهِمِ
لما أتوه حَيَارَى بعد عيِّهِمِ لم يرجعوا منه إلاَّ بَعْدَ رَيِّهِمِ
زها وزاد مزايا فوق زيهم

دَعْ ما ادَّعَتهُ النصارى في نبيهِمِ واحكُمْ بِمَاشِئْتَ مَدْحاً فيه واحْتَكِمِ
اللّه صفا لقلب المصطفى فصُفِي وزاده رِفْعَةً من فوق كلِّ صفي
نعم وصرَّفَهُ في الكائنات وفي جَنَّاةِ عَدْنٍ بها للمؤمنين يَفِي
فزِدْهُ مدحا فإن الفَضْلَ غيرُ خَفِي

وانْسُبْ إلى ذاتِه مَا شِئْتَ من شَرَفٍ وانسب إلى قَدْرِه مَا شِئْتَ من عِظَمِ
اللّه أوحى إليه حين كمَّلَه أمين وحي بذكْرٍ منه أنزله
وبالغمامة أنّى صَارَ ظَلَّلَه وبالمهابة والتَّبْجِيلِ جَلَّلَه
وللشَّفَاعَة يوم الحَشْرِ أهَّلَهُ

فإن فضل رسول اللّه ليس له حد فيُعْرِبُ عنهُ ناطقٌ بِفَمِ

اللّٰه أنزل في آياته حِكَماً ... على النبيين ألْقَوْهَا إلَى العُلَمَا
وكُلُّهُم أطْنَبُوا في مَدْحِه قِدَماً ... وحاولوا أنْ يَكُونُوا للنَّبي خَدَماً
لكن به اللّٰه عِقْدَ الرُّسْلِ قد خَتَمَا

لو ناسَبَت قدرَهُ آياتُهُ عِظَما ... أحْيَا اسمُهُ حينَ يُدْعَى دَارِسَ الرِّمَمِ
اللّٰه خوَّلَه في كنزِ مَطلبِهِ ... لمّا رآه فريدا في تطلُّبِهِ
وزادهُ رِفْعَةً في عِزِّ منصَبِهِ ... فواضِحُ الحقِّ في منهاجِ مَذْهَبِهِ
فمذْ أتانا بدينٍ غيرِ مُشْتَبِهِ

لم يمتحِنَّا بما تعيا العُقُولُ به ... حرْصاً علينا فلم نرْتَبْ ولمْ نَهِمِ
اللّٰه كرر في تَبْجِيلِهِ السُّورا ... وألبَسَ الشمس منه النور والقمرَا
وأخجَلَ البحْرَ من يمناهُ والمَطَرا ... فهاك عُذْرِي فكم مثلي قد اعتذَرا
إن الذي أعجز المُدّاحَ والشّعَرا

أعيَا الورى فَهْمُ معناهُ فليسَ يُرى ... في القربِ والبعدِ فيهِ غيرَ منفَحِمِ
اللّٰهُ ناصِرُه بالرُّعبِ والمددِ ... أنَّى يَكُنْ حولهُ شَهْرا لُمَطَّرِدِ
كِسْرى وقيْصَرَ كانا منه في رَعَدِ ... وإنْ بَدَا مُفرَدا يوما على أَحَدِ
ظنُّوه في جحْفَلٍ بالخيْلِ والعَدَدِ

كالشَّمسِ تظهرُ للعينين من بُعدِ ... صغيرة وتَكِل الطَّرْفَ من أمَمِ
اللّٰه قبلَ الورى أبدى خليقَتَهُ ... والرُّسْلُ والأنبيا رَامُوا طَرِيقَتَه
كم أرمد قد شُفي مُذْ مَسَّ ريقَتَهُ ... تاللّٰه إن الدُّنَا كَانَت طَلِيقتَهُ
ونفسُهُ في رضا المولى رفيقَتَهُ

وكيف يدرك في الدنيا حقيقته ... قومٌ نِيَامٌ تسَلَّوْا عنه بالحُلُمِ

اللّٰه آتاه سرّاً فهو مستترُ ... ماالعقلُ في كُنْهِهِ ماالفهمُ ماالفِكرُ
ماالفجرفي نوره ماالشمس ماالقمر ... ما الطَّل في جوده ما البحر ما المطَرُ
من شاء يُطْنِبُ أو من شاء يَختَصِرُ

فمبلغُ العلم فيه أنهُ بَشَرُ ... وأنه خيرُ خلقِ اللّٰه كلِّهِم
اللّٰه ملَّكَه العَليا بأطنُبِها ... وكان عُمْدَتَها في وَسْطِ مَضْرَبِها
وفاز من حضرة المولى بأقربِها ... منه النُّبُوَّة مبدأ عِزٍّ منصَبِها
وهو الذي قد أتى خَتْماً لموكبها

وكلُّ آيٍ أتى الرُّسْلُ الكِرامُ بها ... فإنما اتصَلتْ من نورِهِ بهِم
اللّٰه قدَّرَ أن تُجْلَى غياهِبُها ... فأرْسَلَ الرُّسْلَ فانْجَابَت سحَائِبُها
أتوا بآيٍ فلا تُحصَى عجائبها ... لكنَّ خيرَ الورى في الأَصْلِ صاحِبُها
ومن ضِيا نوره تزهو ثواقبها

فإنهُ شَمْسُ فضلٍ هُمْ كواكِبُها ... يُظْهِرْنَ أنوارها للناسِ في الظُّلَمِ
اللّٰه منه إلينا الخيرُ مُسْتَبِقٌ ... على لسان نبيٍّ وجهُهُ طَلِقٌ
فالشمسُ مِن نورِهِ والبدرُ والفَلَقُ ... والمِسكُ مِن ريحِهِ في الأُفقِ يَعْتَبِقُ
والجودُ مِن كَفِّهِ في الخَلْقِ مُندَفِقُ

أَكْرِمْ بخَلقِ نبيٍّ زانَهُ خُلُقٌ ... بالحُسْنِ مُشْتَمِلٌ بالبِشْرِ مُتَّسِمِ
اللّٰه جاعِلُهُ عوناً لمُلتَهِفٍ ... في كُلِّ حالاتِهِ سِتْراً لمُكْتَنِفِ
إنْ رُمْتَ تَشْبِهَهُ المَرْوِيَّ عن سَلَفٍ ... لِيناً وحُسْناً ومُنْهَلاً لمُغْتَرِفِ
وعزْمةً ألقَتِ الكُفَّار في تَلَفِ

كالزَّهْرِ في تَرَفٍ والبدْرِ في شَرَفٍ ... والبحْرِ في كرمٍ والدَّهْرِ في هِمَمِ

اللّه شاهدَ منهُ حُسْنَ حالَتِهِ حتى اصطفاهُ خِتاماًفي رسالَتِهِ
وأنزلَ الذِّكرَ في معنى مَقالَتِهِ وإنْ بَدَا وهوَ يزْهو في عُلاَلَتِهِ
ترى الصَّناديدُ تَخشَى من بسالتِهِ

كأنهُ وهو فردٌ من جلالَتِهِ في عسكَرٍ حينَ تلقاهُ وفي حَشَمِ
اللّه مكَّنَهُ في ذِرْوَةِ الشَّرَفِ لِمَا رأى منه مِن لينٍ ومِن عَطَفِ
وحسنِ عطفٍ على جانٍ ومُقْتَرِفٍ هو المَصَرِّفُ في الجَنَّاتِ والغُرَفِ
ومَدحُهُ قد أتى في سائِرِ الصُّحُفِ

كأنما اللُّؤْلُؤُ المكنونُ في صَدَفٍ من معْدِنَيْ مَنْطِقٍ منهُ ومُبْتَسِمِ
اللّه بالمَدْحِ في التَّنْزيلِ كرَّمَهُ مِن قبلِ إيجادِهِ والرُّسْلَ أَخْدَمَهُ
وفي القيامة ربُّ العرشِ حشَّمَهُ وقبره حرمٌ واللّه عظَّمَهُ
فيا لهُ حرمٌ ما صارَ أعْظَمَهُ

لا طِيبَ يعدلُ تُرْباً ضَمَّ أعْظُمَهُ طوبَى لمُنتَشِقٍ منهُ ومُلْتَثِمِ
اللّه نرجوهُ يروينا بكوثَرِهِ إذا أتيْنَا جميعاً تحتَ مِنْبَرِهِ
هو الذي نَسْلُهُ سادُوا بمَفْخَرِهِ كذاك آباؤُهُ باهُوا بمَنْوَرِهِ
نعم وظاهِرُهُ يُنْبي بمُضْمَرِهِ

أبَانَ مولِدُهُ عن طيبِ عنْصُرِهِ يا طِيبَ مُبتدَإٍ منهُ ومُخْتَتَمِ
اللّه قد منعَ الكُهَّانَ جِنَّهُمُ لمَّا أتى النُّورُ في ليلٍ أجَنَّهُمُ
وبالهُدى عن طريقِ الزَّيْغِ عَنَّهُمُ فحققُوا كلَّ ما قد كان ظَنَّهُمُ
وأيْقَنُوا أنهم يخْلُونَ كِنَّهُمُ

يومٌ تفرَّسَ فيهِ الفرسُ أنهمُ قد أُنْذِروا بحلولِ البؤْسِ والنِّقَمِ

اللّه يعلمُ أن الخيرَ مُجتَمِعٌ فيهِ وفيهِ التُّقَى والزُّهدُ والوَرَعُ
لَمَّا رأى نورَهُ في الكونِ يرتفِعُ المُوبِذَانُ تولَّى وهو مُرْتَدِعُ
وقال لا بدَّ هذا الملكُ ينتزِعُ

وباتَ إيوانُ كسْرَى وهو منصَدِعُ كشملِ أصحابِ كِسْرى غيرَ مُلْتَئِمِ
اللّهُ حيَّرَهمْ في ظُلْمَةِ السَّدَفِ لمّا بدَا سيِّدُ الأشرافِ والشَّرَفِ
أتى المُوَكَّلُ بالنيرانِ في شَغَفٍ وقال جاء الذي تخْشَونَ من تَلَفٍ
وماءُ سَاوَةَ بعدَ الجَرْيِ في نَشَفٍ

والنَّارُ خامِدَةُ الأنْفَاسِ من أسفٍ عليهِ والنهرُ ساهي العينِ من سَدَمِ
اللّه قدَّرَ أن تطْفَى جُمَيْرَتُها وظَنَّ فارِسُ أنْ تُحْمَى نُوَيْرَتُهَا
لم تَدْرِ إلاَّ وعَمَّتهَا جُوَيْرَتُها وأيقَنتْ أنها تُخْلى دوَيْرَتُها
أمَّا البحَيْرَةُ قد جَفَّتْ جويْرَتُهَا

وسَاءَ ساوَةَ أن غاضَتْ بُحَيْرَتُهَا وَرُدَّ واردُهَا بالغَيظِ حين ظمِي
اللّهُ أشغلهم بالنار والشَّعَلِ وهمْ يظنونَ هذا أفضلَ العمَلِ
حتى أتى سيِّدُ الأكوانِ والرُّسُلِ فأصبح القومُ في وَجْدٍ وفي وَجَلِ
وأرضُ ساوةَ بعدَ الخصبِ في مَحَلِ

كأنَّ بالنارِ ما بالماءِ من بَلَلٍ حُزْناً وبالماء ما بالنار من ضَرَمِ
اللّهُ آياتُهُ بالحقِّ رادِعَةٌ للمُتَّقينَ وللكُفَّارِ قامِعَةٌ
منها المَلاَ في العُلاَ للّهِ خاضِعَةٌ وجَنَّةُ الخُلْدِ بالأزهارِ يانِعَةٌ
وأهلُ مِلَّتِهِ في الجودِ طامِعَةٌ

والجِنُّ تهتِفُ والأنوارُ ساطِعَةٌ والحقُّ يظهَرُ من معنى ومن كَلِمِ

اللّه في لوحِهِ أجرى خطوطَ قَلَمْ ... لمْ يظلِمِ اللّه مخْلوقاً أسا وظَلَمْ
بل إنهمْ خَبَّطوا بالجَهْلِ وسْطَ ظُلُمْ ... باعُوا الجِنانَ وما فيها بِبَخْسٍ سَلَمْ
ولم يروا نورَهُ المشْهورَ فوقَ علمْ

عَمُوا وصَمُّوا فإعلانُ البشائِرِ لمْ ... تُسْمِعْ وبارِقَةُ الإنذارِ لم تُشَمِ
اللّه أرسلَ خيرَ الرُّسلِ يأمَنُهُم ... من العذاب لكيْ تعلو أماكِنُهمْ
زلُّوا وضلوا وإنَّ اللّه ماحِنُهُمْ ... فالشَّكُّ والشِّرْكُ والشَّيْطانُ فاتِنُهُمْ
تحَقَّقُوا عندما تُخْلَى مساكِنُهُمْ

من بعدما أخبر الأقوامَ كاهِنُهُمْ ... بأن دينَهمُ المُعْوَجَّ لمْ يَقُمِ
اللّه أظْهَرَهُ في سالِفِ الحُقُبِ ... لكلِّ قرنٍ إلى قومٍ بِبَعْثِ نبي
أليس بُهتانُهم من أعجبِ العَجَبِ ... وقد رأوا وَصْفَهُ المَشْهورَ في الكُتُبِ
وأيقَنوا أنهُ منْ أشرَفِ العـرَبِ

وبعدما عاينوا في الأُفقِ من شُهُبٍ ... مُنْقَضَّةً وَفْقَ ما في الأَرْضِ من صنَمِ
اللّه رافِعُ دينٍ ليسَ ينْجَزِمُ ... بالفَتْحِ مُفْتَتَحٌ بالنَّصْرِ مُخْتَتَمِ
بمَنْ بِمَوْلِدِهِ قد زالتِ الظُّلَمُ ... وليسَ يُلْقَى إلى كُهَّانِهِمْ كَلِمُ
ومارِدُ الجِنِّ بالنيـران ترْجَمُ

حتَّى غَدا عن طريقِ الوَحيِ مُنْهَزِمٌ ... من الشَّياطينِ يَقْفُوا إثرَ مُنْهَزِمِ
اللّه يرميهِمْ من أيما جِهَةٍ ... راموا السَّماعَ لآياتٍ مُنَزَّهَةٍ
بِبَأْسِهِمْ لِشِرارِ النَّارِ مُشْبهَةٍ ... يُلْقِيهِمُ حرُّها في كلِّ مَكْرَهَةٍ
حتى يُمَزِّقَهم في كلِّ مهْمَهَةٍ

كأنهم هرباً أبطالُ أبرهةٍ ... أو عسكَرٌ بالحصى من راحَتَيْهِ رُمِي

اللّٰهُ خَصَّ يمينَيْهِ وعمَّهُما جوداً وفَضْلاً لمنْ والاهُمَا كرمَا
ومنْ يُحارِبْهُ يشرَبْ منهُما ألَمَا أليْسَ يوم حُنَيْنٍ قالَ حينَ رمَى
شاهتْ وُجوهُ العِدَا عمَّ الجَميعَ عمَى

نبذاً بهِ بعد تسبيحٍ ببَطْنِهِمَا نَبْذَ المُسَبِّحِ من أحشاءِ مُلْتَقِمِ
اللّٰه آتاهُ آياتٍ مُشَاهَدَةً أضحتْ لهُ بالهُدى والوحيَ شاهِدَةً
وأصبَحَتْ بالعِدَى للحقِّ كَامِدَةً لا يستطِيعُ لهَا الواشِي معانَدَةً
وقال من قد رأى الآيات وارِدَةً

جاءتْ لِدَعْوَتِهِ الأَشْجارُ ساجِدَةً تمشي إليهِ على ساقٍ بلا قَدَمِ
اللّٰه أوحَى إليهِ سورةَ اقْتَرَبَتْ والشَّمْسُ رُدَّتْ لهُ من بعدمَا غَرَبَتْ
والسُّحْبَ لمَّ رَعَا من غَيْثِهَا سَكَبَتْ والوَحْشُ نَاجَاهُ والأشجَارُ قد ذَهَبَتْ
لهُ تَخُطُّ الثَّرَى لمَّا لهُ طُلِبَتْ

كأنما سطَّرتْ سَطْراً لِما كَتَبَتْ فُرُوعُها من بَديعِ الخطِّ باللَّقَمِ
اللّٰهُ يَعلمُ أنَّ الخَلْقَ قَاصِرةٌ عنْ وَصْفِهِ منْذُ والأفْلاكُ دائِرَةٌ
مِن أُصْبُعيهِ عُيُونُ الماءِ فائِرَةٌ وهَيْبَةُ الشَّهْرِ أنَّى كانَ غائِرَةٌ
منها الأَعَادي بِعَونِ اللّٰه نافِرَةٌ

مثلَ الغَمامَةِ أنَّى سَارَ سائِرَةٌ تقِيهِ حَرَّ وَطِيسٍ للهَجيرِ حمِي
اللّٰهُ للخَلْقِ بالقُرآنِ أرسَلَهُ أتَى لِكُفْرٍ بدينِ اللّٰه بَدَّلَهُ
وبالعُلا والمَزَايا الغُرِّ كمَّلَهُ وقد حباهُ من التَّفْضِيلِ أفْضَلَهُ
ونالَ من مُعظَمِ التبجيلِ أجْزَلَهُ

أقسَمتُ بالقَمَرِ المُنْشَقِّ إنَّ لهُ من قلبِهِ نِسْبةً مَبْرورَةُ القَسَمِ

اللّه أسْبَلَ سِتْراً منهُ لمْ يُضَمِ ... على رفيقَينِ فاقَا الخلْقَ في هِمَمِ
هذا الصَّدُوقُ وذا الصِّدّيقُ من قِدَمِ ... تاللّه إنهمـــا كـــانـــا عـــلى قَدَمِ
لا خُلْفَ بينَهُمَا في الحُكْمِ والحِكَمِ

وما حَوَى الغَارُ من خَيْرٍ ومِنْ كَرَمِ ... وكلُّ طرفٍ من الكُفارِ عنهُ عمِي
اللّه نجَّاهُ لمَّا كانَ مُعْتَصِمَا ... حتى به من أذى في الكون قد عُلِمَا
ومن عناهُ بغَدْرٍ خَيْبَةٍ نَدِما ... ومن عناهُ بغَدْرٍ خَيْبَةٍ نَدِما
ومن عناهُ بغَدْرٍ خَيْبَةٍ نَدِما

فالصِّدْقُ في الغارِ والصِّدِّيقُ لمْ يَرِمَا ... وهم يقولونَ ما بالغارِ من أَرِمِ
اللّه فوقهما سِتْرَ الرِّضَا سَدَلاَ ... وأرْسَلَ الطَّيْرَ باضَتْ حيثُمَا نزَلاَ
والعنكبوتُ بباب الغارِ قد غَزَلاَ ... قالوا إلى هنا لا شكَّ قدْ وَصَلاَ
لكن هما أبداً ما هاهنا دخلاَ

ضنوا الحمامَ وضنُّوا العنكبوتَ على ... خيرِ البَرِيَّةِ لمْ تنسُجْ ولمْ تَحُمِ
اللّه أَنْجَاهمـــا مـــن غير راجِفَةٍ ... كما نجَّى المُصطفى من شرِّ طائفَةٍ
ببابهِ بِسُيوفِ الهِنْدِ واقِفَةٍ ... طوبى لنفْسِ الرِّضا ليست بخائفَةٍ
من عصبةٍ بالهوى المذْمُومِ خائفةٍ

وقايةُ اللّهِ أغنَتْ عن مُضاعَفَةٍ ... من الدروعِ وعن عـــالٍ من الأُطُمِ
اللّه مولى تعالى أن يُحاطَ به ... هدى عمانا بنورٍ يُسْتضاءُ بهِ
من رامَ نيلَ مُناهُ عنْ مآربِهِ ... يحُطُّ أثقاله من حولِ مَطْنَبِهِ
وحقَّ ربِّ تعالَى في تَحَجُّبِهِ

ما سامني الدهرُ ضَيْماً واستجَرْتُ بهِ ... إلاَّ ونِلْتُ جواراً منهُ لم يُضَمِ

اللّٰه يهْدي فُؤَادِي في تردُّدِهِ لبابِ ساداتِهِ في نيْلِ مَقْصِدِهِ
عسى يَرى المصطفى في يومِ موعِدِهِ هو الذي مُهْجَتي من حُسْنِ مَشْهَدِهِ
لا يشْتَفِي داؤُها إلاَّ بِمَوْرِدِهِ

ولا التَمَسْتُ غِنى الدَّارَيْنِ من يَدِهِ إلاَّ استَلَمْتُ النَّدَى من خيرِ مُسْتَلَمِ
اللّٰهُ نوَّلَهُ نَصراً وخَوَّلَهُ وبالشَّفَاعَةِ يومَ الحَشْرِ منَّ لهُ
فحضْرةُ القُدْسِ فيها الحقُّ أنزَلَهُ كقابِ قوسَيْنِ والرحمَنُ جمَّلَهُ
بتاجِ عِزٍّ وبالإكرامِ كمَّلَهُ

لا تُنكِرِ الوحيَ من رؤياهُ إنَّ لهُ قلباً إذا نامت العينان لم ينمِ
اللّٰهُ عاصِمُهُ من قبلِ نبْوَتِهِ فلا يميلُ إلى لهوٍ بشهوتِهِ
وكان قومُ قُرَيشٍ في فُتُوَّتِهِ يستَعْجَبونَ وفي زاكِي مَرُوءَتِهِ
مستيقِظَ القلبِ للمولَى بنِيَّتِهِ

وذاكَ حينَ بلوغٍ من نبوتِهِ فليسَ يُنْكَرُ فيه حالُ مُحْتَلِمِ
اللّٰه خصَّ رسولاً منهُ بالقربِ والعِلْمِ والحِلْمِ والإنصافِ والأَدَبِ
بصِدقِ وحيٍ أتَى للعُجْمِ والعرَبِ وعلمِ غيبٍ من الباري بلا رِيَبِ
فقيل مكتسبٌ بالكُهْنِ والكذِبِ

تباركَ اللّٰه ما وَحيٌ بمُكْتَسَبٍ ولا نبيٌّ على غيبٍ بمتَّهَمِ
اللّٰه آتاهُ ما تُتْلى فَصَاحَتُهُ بكلِّ فضلٍ له فاقت رجاحَتُهُ
أقسمتُ باللّٰه لا تحصى سماحتُهُ كم فرَّجَتْ كُرُباً عنَّا صبَاحَتُهُ
كم أسبَغَتْ نِعَماً فينا سماحَتُهُ

كم أبرأتْ وَصِباً باللمسِ راحتُهُ وأطلقتْ أرِباً من ربقةِ اللَّمَمِ

اللّٰه صافاه فالمختارُ صفوتُهُ ... لا يُظِرُ الحُزْنَ إنْ عَمَّتهُ بلوتُهُ
ولا تميلُ إلى الكونينِ شهوتُهُ ... وحضرةُ القُدْسِ فيها تمَّ جَلوَتُهُ
وليسَ إلاَّ لمولى العرشِ هِمَّتُهُ

وأحيتِ السنَّةُ الشهباء دعْوَتُهُ ... حتى حكت غُرَّةً في الأعْصُرِ الدُّهُمِ
اللّٰه أحيا مُحَيَّاها لراغبها ... وأرْسَلَ الوبْلَ غيثاً في سواكِبها
سحَّتْ على الكونِ سُحبٌ من سَحَائبها ... فجادَ زَرْعٌ وضرعٌ صوبَ صائبها
وخصَّبَ الأرضَ حقّاً في أجادِبها

بعارضٍ جاءَ أو خِلْتُ البِطَاحَ بها ... سيباً من اليمِّ أو سيلاً من العَرِمِ
اللّٰه آتاهُ آياتٍ قدِ اشتَهَرتْ ... في يومِ مولِدِهِ منها الورى انبهرتْ
جناتُ عدنٍ مع الكونينِ قد زهرتْ ... والشهبُ للجنِّ بالإحراقِ كم قهَرَتْ
والأرضُ من رجسِها لمّا أتى طَهُرَتْ

دعني ووصْفِيَ آياتٍ له ظهرتْ ... ظهورَ نارِ القِرى ليلاً على عَلَمِ
اللّٰه حسبُ الذي باللّٰهِ يعتصِمُ ... وللمديحِ لخيرِ الرُّسلِ يلتَزِمُ
وهو الذي مدحه تعلو به الهِمَمُ ... وقاله الرُّسل والأملاك والأمَمُ
وكلَّما زاد زادَ الجودُ والكرَمُ

فالدُّرُّ يزدادُ حسنا وهو منتظِمُ ... وليسَ ينقصُ قدراً غير منتظِمِ
اللّٰه أعطاه في الدارين ما سألاَ ... وزادهُ رِفْعةً لمَّا إليه علاَ
فهو الذي عطَّل الأديان والمِلَلاَ ... وقام للّٰهِ حتى أوضح السُّبُلاَ
هو الذي مدحهُ في الذِّكْرِ قدْ نَزَلاَ

فما تطَاولُ آمالِ المدِيحِ إلى ... ما فيه من كرمِ الأخلاقِ والشِّيمِ

اللّٰه في عِلْمِهِ أشيا مؤبَّدَةٌ ... تجري إلى الخلقِ لكن هي مؤَجَّلَةٌ
كذاكَ آياتهُ بالحقِّ مُحْكَمَةٌ ... وبالهُدى والتُّقى والخيرِ معْلِمةٌ
وبالمديحِ لخير الرُّسْلِ معلِنةٌ

آيات حقٍّ من الرحمن مُحدَثَةٌ ... قديمة صفَةُ الموصُوفِ بالقِدَمِ
اللّٰه أنزلها بالحقِّ تنذرُنا ... وعن طريق الهوى والغيِّ تَزْجُرُنا
وإن أتانا عدُوٌّ فهي تنصُرُنا ... وبالهُدَ والتُّقَى والزُّهدِ تأمُرُنا
على لسانِ نبيٍّ جا يبشِّرُنَا

لم تقترن بزمانٍ وهي تُخبِرُنا ... عن المعاد وعن عادٍ وعن إرمِ
اللّٰه حافِظُها من كل مَغْمَزَةٍ ... يعيش قارئُها في ألفِ مَعْزَزَةٍ
أعظِمْ بآي من النيران مُحْرِزَةٍ ... على الصِّراطِ لتاليهَا مُجَوِّزَةٍ
لم يلقَ كيداً ولا يرمى بمكيَدَةٍ

دامت لدينا ففاقت كل معجزةٍ ... من النبيين إذ جاءت ولم تَدُمِ
اللّٰه أبرزَها من علم غيهبه ... لها ضياء يراه كـــــل مُّنْتَبِهِ
يا سعد من كان يدعو في تطلُّبِهِ ... بها إلى اللّٰه في مأمولِ مطلبِهِ
لأنها قد أزالت كلَّ مشتبِه

محكمَاتٌ فما تُبقِينَ من شُبَهٍ ... لذي شقاقٍ وما تبغين من حَكَمِ
اللّٰه أظهرها للعجمِ والعربِ ... كالشَّمسِ نورا وكالأقمارِ والشُّهُبِ
منها اكتسبنا علوم الدين والأدب ... ثم اغترفنا الذي نرجوه من طلبِ
وحقِّها قسما ما فهتُ بالكذِبِ

ما حُورِبَتْ قطُّ إلاَّ عادَ منْ حَرَبٍ ... أعْدَى الأَعادِي إليها مُلْقِيَ السَّلَمِ

اللّه أمطَرَنا من وَبْلِ عارِضِها علماً وحِلماً وتطْهِيراً بفائِضِهَا
فما رأينا الهُدَى إلاَّ بِوامِضِهَا فقُل لِمَنْ قدْ تغَالى في تنَاقُضِها
يصْغَى لِسِرِّها الخافِي وغامِضِهَا

ردَّتْ بلاغَتُهَا دعوَى مُعَارِضِهَا ردَّ الغَيورِ يدَ الجاني عنِ الحُرَمِ
اللّهُ نَزَّلَهَا بالخيْرِ والرَّشَدِ على تَقِيٍّ نقِيٍّ خيرِ مُعْتَمِدِ
فبَانَ منها الهُدَى في كُلِّ مُعْتَقِدِ وباء بالسُّقْمِ شانيهَا وبالرَّمَدِ
آياتُ صِدْقٍ تُنَجِّ كلَّ مُرْتَشِدِ

لها معانٍ كموجِ البحرِ في مَددِ وفوقَ جوهَرِهِ في الحُسْنِ والقِيَمِ
اللّهُ قَدَّر أن تعلو كواكِبُهَا للمُؤمِنينَ وأن تُجْلَى سحائِبُهَا
كأنها جنةٌ تجْري سَوَاكِبُهَا للمُتَّقينَ ويأتيهم أطايِبُهَا
نعم وتُجْلَى لهمْ فيها كواعِبُهَا

فما تُعَدُّ ولا تُحْصَى عجائِبُها ولا تُسَامُ على الإكْثَارِ بالسَّأَمِ
اللّه من فضْلِهِ القرآن أنزَلَهُ إلى نبيٍّ لكُلِّ الفَضْلِ أهَّلَهُ
يا سعْدَ من في ظلامِ الليلِ رتَّلَهُ فيهِ مواعِظُ تَالِيهَا يحِقُّ لهُ
جنَّاتُ عَدْنٍ إذا ما الدَّمعُ أسْبَلَهُ

قَرَّتْ بهَا عينُ قاريهَا فقُلْتُ لهُ لقدْ ظَفِرْتَ بحبلِ اللّهِ فاعتَصِمِ
اللّه يحفَظُ مَنْ ألْفَاظهَا حَفِظَا وفوهُ بالذِّكْرِ فاها أو بها لَفَظَا
راقَتْ ورَقَّتْ عُلاَهَا مَنْ بها اتَّعَظا آيٌ عِظامٌ بها الرحمنُ قدْ وَعَظَا
قد قرَّ قارِئُهَا عيناً بما لَحَظا

إنْ تتلُهَا خِفَةً مِنْ حرِّ نارِ لظَى أطفَأتَ حرَّ لظَى من وِرْدِهَا الشَّبِمِ

اللهُ حَسْبُ عُبَيْدٍ في تَحَسُّبِهِ ... يرجو النجَاةَ بهَا من سوءِ مَكْسَبِهِ
ومنْ رآهُ مُنَاهُ في تَشَبُّبِهِ ... تُراهُ نوراً يُرَى في وِرْدِ مَشْرَبِهِ
وتَكْسُهُ حُلَّةً من كَنْزِ مطْلَبِهِ

كأنهَ الحَوْضُ تبْيَضُّ الوُجُوهُ بهِ ... من العُصَاةِ وقدْ جاؤُهُ كالحُمَمِ
اللهُ بالحقِّ أوحاها مُرَتَّلَةً ... مفصَّلاتٍ وللأحْكَامِ مُفْصِلَةً
فلمْ تَزَلْ لأعادِي اللهِ مُجْدِلَةً ... أضْحَتْ بهَا أوجُهُ الخَيْراتِ مُقْبِلَةً
كأنها العَقْلُ بلْ تَعْلُوهُ مَنْزِلَةً

وكالصِّراطِ وكالميزَانِ مَعْدِلَةً ... فالقِسْطُ من غيرها في الناسِ لم يقُمِ
اللهُ لا شَكَّ للإيمانِ يَدْخُرُهَا ... كما خباها لمن بالحقِّ ينصُرُها
على عدُوٍّ أتى بالجَهْلِ يدْحَرُهَا ... يا فوزَ مَنْ في ظلامِ الليلِ يذْكُرُهَا
سرّاً وإن زاد منهُ الوَجدُ يجهَرُهَا

لا تعْجَبَنْ لِحَسُودٍ راحَ يُنكِرُهَا ... جَاهُلاً وهو عينُ الحاذِقِ الفَهِمِ
اللهُ أظْهَرَها كالشمسِ في الأَسَدِ ... فلا تغيبُ بلا غيمٍ على أحَدِ
من سار في نورهَا يجْلوهُ بالرَّشَدِ ... وزَلَّ مَنْ ضَلَّها بالسُّقْمِ والكَمَدِ
لا تركَنَنَّ إلى من فاهَ بالحسدِ

قدتُنْكِرُالعينُضوءَالشمسِمنرَمَدٍ ... ويُنْكِرُ الفَمُّ طعمَ الماء من سقَمِ
اللهُ بَرَّأَ ما قِيلَ ساحَتَهُ ... وفالِقُ الصبْحِ قد أزهَى صباحتَهُ
فجملةُ الخلقِ ما وافَوْا رجاحَتَهُ ... يا خيرَمن للورى يُبْدِي نصاحَتَهُ
أتى الفقيرُ يرجي منك راحَتَهُ

يا خيرَ من يَمَّمَ العافُونَ ساحَتَهُ ... سعياً وفوقَ مُتونِ الأيْنُقِ الرُّسُمِ

اللّه يُنجي لجسمي من لظى سَقَرٍ ويحفظُ القلبَ من ريبٍ ومن كَدَرِ
بجاهِ خيرِ الورى المبعُوثِ من مُضَرٍ ومن يُرَجَّى لَمَا نخشاهُ من ضَرَرِ
ومن يشفَعُ يومَ الكربِ والضَّرَرِ

ومن هو الآيةُ الكبرى لمُعتَبِرٍ ومن هو النعمَةُ العُظْمى لِمُغْتَنِمِ
اللّهُ خَصَّكَ بالإكرام والكَرَمِ كما تخصَّصتَ بالأحكامِ والحِكَمِ
وسرتَ بالملإِ الأعلى على قدَمٍ مع النبيينَ في الإسراءِ والحَشَمِ
قبل الدُّنُوِّ من الموصوفِ بالقِدَمِ

سريْتَ من حرمٍ ليلاً إلى حرمٍ كما سرى البَدْرُ في داجٍ من الظُّلَمِ
اللّهُ في ليلةٍ أمستْ مُبَجَّلَةً أراك مُلكاً وآياتٍ مُفَصَّلَةً
رحلتَ من مكةَ إلى القُدْسِ مَرْحَلَةً مُذْ قدَّمَتْكَ جميعُ الرُّسلِ مُقبِلَةً
قد حُزْتَ قدراً رَفيعاً حلَّ محمَدَةً

وبتَّ ترقَى إلى أن نِلْتَ منزلَةً من قابِ قوسَينِ لم تُدْرَكْ ولم تُرَمِ
اللّه والاكَ أعلى عِزٍّ منصَبِها كيما تفوزَ بصافي وِرْدِ مَشْرَبِها
بك التحياتُ جاءتْنا بمَغْرِبِهَا لمَّا سريْتَ كمسرى الشمسِ مغربِها
وقامُ جمعُ الملإِ الأعلى بموكبِها

وقدَّمَتْكَ جميعُ الأنبياء بهَا والرُّسْلِ تقديمَ مخدومٍ على خَدَمِ
اللّهُ آتاكَ مالاً في سِواكَ قُسِمْ فكل عِلْمٍ رواهُ الناسُ عنكَ فُهِمْ
وليس في الرُّسلِ إلاَّ عن نباك عُلِمْ وكأْسَ وحْيِهِمُ لمَّا أتيتَ خُتِمْ
وليس بالملإِ الأعلى سواك خُدِمْ

وأنت تخترقُ السبْعَ الطباقَ بهِمْ في موكبٍ كنتَ فيهِ صاحبَ العلَمِ

اللّه رقَّاكَ في داجٍ من الغَسَقِ على بُراقٍ لتَرقَى أشْرفَ الطُّرُقِ
لَمَّا اتصفْتَ أيا صافي من العلقِ رأيتَ بالقلب وجه اللّهِ والحدقِ
لقد تناهيت في خَلْقٍ وفي خُلُقِ

حتى إذا لم تَدَعْ شَأْواً لمُسْتَبِقِ من الدُّنُوِّ ولا مرْقَى لِمُسْتَنِمِ
اللّه يشهدُ أن القلبَ فيكَ جُذِذْ يا من إليه فؤادي بالغرام جُبِذْ
كن لي إذا ما اصطباري في المعادِ نُبِذْ من الذُّنوبِ ووجهي بالجحيم حُنِذْ
فليس بالسمع والرؤيا سواك لُذِذْ

خفظتَ كلَّ مقامٍ بالإضافَةِ إذْ نوديتَ بالرفْعِ مثل المفرد العلمِ
اللّه بَرَّكَ بالتبجيل في السُّورِ ثم اجتباك من الأملاك والبشرِ
يا واحِدَ الدَّهرِ يا من جا على قَدَرٍ قد حُزتَ منزلةً جلتْ عن الفِكَرِ
وألَّفَ اللّه نور القلبِ والبصرِ

كيما تفوزَ بوصلِ أيِّ مُستترِ عن العيونِ وسرَّ أيَّ مُكتتمِ
اللّه ناداك في ليلٍ دُجىً حلِكٍ فجُزْتَ حُجْباً وكم جاوَزْتَ من حُبُكِ
وكم مررتَ بلا ريبٍ على مَلَكٍ وكم علوتَ إلى العليا على فَلَكِ
حتى سمعتَ عظيمَ الذِّكرِ من مَلَكِ

فَحُزْتَ كُلَّ فَخَارٍ غيرَ مُشْتَرَكٍ وجُزْتَ كلَّ مَقَامٍ غيرَ مُزْدَحَمِ
اللّه والاكَ يا من جاءَ بالعَجَبِ فضْلاً وفَخْراً على الأعجامِ والعرَبِ
وحُزْتَ مَرْتَبَةً جَلَّتْ عنِ الطَّلَبِ لمَّ علوتَ على الأفلاكِ والحُجُبِ
وفُزْتَ بالسَّمعِ والرُّؤيَا بلا تَعَبِ

وجَلَّ مِقْدارُ ما وُلِّيتَ من رُتَبٍ وعَزَّ إدراكُ ما أُولِيتَ من نِعَمِ

اللّه بالمصطفَى المُختارِ فضَّلَنا على كثيرٍ وبالإسلامِ خوَّلنَا
ونرجِّي أنهُ للفوزِ أهَّلَنا مُذْ لاَحَ نورُ الهُدَى فينَا وهَلَّ لَنَا
نادى مُنادِي الهَنا في حَيِّنَا عَلَنَا

بُشْرَى لنَا مَعشَرَ الإسلامِ إنَّ لنا من العِنايَةِ رُكناً غيْرَ مُنْهَدِمِ
اللّه شاهِدُ حُسنٍ من براعَتِهِ إنَّ المراحِمَ من سامِي بِضَاعَتِهِ
ما زالَ يبكي ويدعُو في ضَرَاعَتِهِ حتَّى استُجيبَ دُعَاهُ في جماعَتِهِ
ونالَ ما نرجِّيهِ في شفاعَتِهِ

لَمَّا دعا اللّه داعينا لطاعَتِهِ بأكرَمَ الرُّسْلِ كُنَّا أكرمَ الأُمَمِ
اللّه ألقَى عليهِ حبَّ وحدَتِهِ فكانَ غارُ حِرَاءَ مَحبوبَ إلْفَتِهِ
فجاءَهُ الوحيُ في أوقاتِ خَلْوَتِهِ وقال إقرأ فلمْ يفهَم لنَجْوَتِهِ
فضَمَّهُ فوعَى منهُ بِضَمَّتِهِ

راعَتْ قُلوبَ العِدَا أنْبَاءُ بعْثَتِهِ كنَبْئَةٍ أجْفَلَتْ غُفْلاً من الغنَمِ
اللّه ثبَّتَهُ في كُلِّ محتَبَكِ بالعزمِ والحزْمِ والأصحابِ والملكِ
هذا وأعداؤهَ كالبَحرِ والسَّمَكِ لم يختشوا دوران الدهرِ والفَلَكِ
ويشتهون اللِّقَا في النور والحلَكِ

ما زال يلقاهمُ في كُلِّ معتَرَكٍ حتى حكُوا بالقَنا لحماً على وَضَمِ
اللّه أذهلُهُم من حدِّ مضربِهِ ولِلُيوثِ حماةٍ حول مطلبه
أنَّى يكُنْ فيكونوا لائِذِينَ بهِ كم من هريمٍ ينادي في تهرُّبِهِ
كم من صريعٍ حزيناً في تلهُّبِهِ

ودّث الفِرار فكادوا يغْبِطُونَ بهِ أشْلاَءَ شالَتْ معَ العِقْبَانِ والرُّخَمِ

اللّه دَمَّرَ بالإسلامِ مُدَّتَهَا وبالحُمَاةِ التي أصْفَتْ مَوَدَّتَهَا
من بعدما أظْهَرَتْ بالغَيِّ شِدَّتَهَا ولَّتْ وألْقَتْ من البأسَاءِ عُدَّتَهَا
ثُمَّ اشتَكَتْ من سيوفِ اللّهِ حِدَّتَهَا

تمضي الليالِي ولاَ يدرونَ عِدَّتَها ما لَمْ تكُنْ من ليالي الأشْهُرِ الحُرُمِ
اللّه أذهبَ في الدَّارين راحَتَهمْ بعُصْبَةٍ طالَمَا أبْدَوْا نصاحَتَهمْ
في الحربِ والسِّلْمِ قدنِلْنَاسماحَتَهُمْ فَصَبَّحُوهم فلمْ يرضَوْاصباحَتَهم
واستسْوَأوهَا فضَنوهَا إجاحَتَهُمْ

كأنما الدِّينَ ضيفٌ حلَّ ساحَتَهُمْ بكلِّ قَرْمٍ إلى لَحمِ العِدَا قَرِمِ
اللّه راميهِمُ منهُ بجائِحَةٍ فأصْبَحَتْ أرضهُمْ في ألفِ نائِحَةٍ
في كُلِّ ناحِيةٍ تُرْمَى بفاضِحَةٍ فَصَفْقَةُ القومِ أضْحَتْ غيرَ رابِحَةٍ
لمَّ أتاهمْ بنَفْسٍ غيرَ جامِحَةٍ

يَجُرُّ بحرَ خميسٍ فوقَ سابِحَةٍ يَرمِي بموجٍ من الأبطالِ مُلْتَطِمِ
اللّه أنْقَذَهم من سائِرِ العَرَبِ فحارَبُوا لأعَدي اللّهِ بالقُضُبِ
حتَّ تَوَلَّوْا وظَنُّوا الفَوْزَ في الهَرَبِ وأيْقَنوا من سيوفِ اللّه بالعَطَبِ
وهم يقولون باللّهِ من عَجَبِ

منْ كُلِّ مُنْتَدَبٍ للّهِ مُحْتَسَبِ يَسْطُو بمُسْتَأصِلٍ للكُفرِ مُصْطَلَمِ
اللّه آتَى رَسول اللّهِ حينَ قَدِمْ آلاً وصَحْباً بهم رُكنُ الضَّلالِ هُدِمْ
عدُوُّهم عادَ لا عقْلَ لهُ وعُدِمْ وفازَ بالسِّلمِ مَن والاَهُمْ وَسَلِمْ
كمْ عامِلٍ منهمُ للّهِ حينَ عُلِمْ

حتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الإسلامِ وهْيَ بهِمْ من بعدِ غُرْبتِهَا موصولَةَ الرَّحِمِ

اللّه أخَفَهم بالمَدحِ في الكُتُبِ هُمُ الأشِدَّاءُ لا يَخْشَونَ من عطَبِ
ما بينهم رَحِمٌ كالأهلِ والنَّسَبِ كم جحفلٍ مزَّقُوا بالخَطِّ والقُضُبِ
كيما تكونُ لها العُليَا على الرُّتَبِ

مكفولةً أبداً منهمْ بخيرِ أبِ وخيرِ بَعْلٍ فلمْ تيْتَمْ ولمْ تَئِمِ
اللّه ربُّ العُلى لا زالَ عاصِمُهمْ من كلِّ هَولٍ ويومَ البعثِ راحِمَهمْ
ففازَ بالعِزِّ من أمسى مُسالِمَهم وباء بالذلِّ من أضحى مُخاصِمَهم
كم من عزيزٍ بكى يخشى عزائمهمْ

همُ الجِبالُ فسلْ عنهمْ مُصادِمَهمْ ماذا رأى منهم في كلِّ مُصْطَدَمِ
اللّه نوَّلَهم ما لم يُنِلْ أحداً شَهِيدُهم في جِنَانِ الخُلدِ مذْ لُحِدَا
سلْ كلَّ لبيبٍ لمعنَى بأْسِهمْ شَهِدَا هلْ بيضُهم تركتْ من للنَّبي جَحَدَا
وسلْ عليّاً وحمْزةً سيِّد الشُّهَدَا

وسلْ حُنَيْناً وسل بدْراً وسل أُحُدَا فُصُولَ حَتْفٍ لهمْ أدْهَى من الوَخَمِ
اللّه أنزلَ نَصْراً عندما وَرَدَتْ نارٌ ببدْرٍ بفَضْلِ اللّهِ قدْ بَرَدَتْ
عصَابَةُ الدِّينِ لا ولَّتْ ولا شَرَدَتْ عن الرَّسولِ إذا ما المُشركون بَدَتْ
وكم مشاهِدِ حربٍ معهُ قد شَهِدَتْ

المُصْدِري البيضِ حُمْراً بعدَمَا وَرَدَتْ من العِدَا كُلَّ مُسْوَدٍّ من اللَّمَمِ
اللّه آتاهمْ نَصراً بهِ مُلِكَتْ مدائِنُ الفُرسِ والفُرسانُ قد هَلَكَتْ
أستارُ كِسْرى بهمْ والرُّمُ قدْ هُتِكَتْ بيضُ الوُجُوهِ ببيضِ الهِنْدِ قدفَتَكَتْ
والنَّاسِخِينَ لإسمِ الكُفْرِ مُذْ سُفِكَتْ

والكاتبينَ بسُمْرِ الخطِّ ما تركَتْ أقلامُهم حرفَ جِسْمٍ غيرَمُنْعَجِمِ

اللّه في الحَشْرِ يومَ النَّشْرِ يحجزُهمْ عن الحِسَابِ ولا للوَزْنِ يُعْوِزُهمْ
وللجِنانِ بلا ريْبٍ يُجَوِّزُهمْ وليسَ في النَّقْعِ والهَيْجَاءِ يُعْجِزُهمْ
وبالمَهَابَةِ والتَّأْيِيدِ يُعْزِزُهمْ

شاكِي السِّلاحِ لهم سِيمَا تُمَيِّزُهم والوَرْدُ يَمتازُ بالسِّيمَا عن السَّلَمِ
اللّه أظهَرَ في الكونين ذِكْرَهُمُ وأنزلَ اللّهُ في القرآنِ شُكْرَهمُ
مُذْ أظْهَروا لِعِدَاةِ اللّهِ فَخْرَهُمُ ومَزَّقُوا بالقِنَا والبيضِ كُفْرَهُمُ
أفَاحَ ربُّ العُلَى في الكَونِ عِطْرَهُمُ

تُهْدِي إليكَ رِيَّاحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمُ فَتَحْسَبُ الزَّهْرَ في الآكَامِ كُلَّ كَمِي
اللّه آوَى رجالاً أصبَحُوا غُرَبَا مُهَاجِرِينَ لأنصارٍ لهُ نُجَبَا
كِلاَهُمَ قد أتَى في الذِّكْرِ فيهِ نَبَا هُمُ اللُّيُوثُ فكم قد دَمَّرُوا عُصَبَا
يومَ الحِجَاجِ وكم قدْ أظْهَروا عَجَبَا

كأنهم في ظُهُورِ الخَيْلِ نبتُ رُبَا من شِدَّةِ الحَزْمِ لا من شدَّةِ الحُزُمِ
اللّه فَرَّقَ أعْدَا مَنْ إليهِ رَقَى في السَّهْلِ والوَعْرِ من أسيافِهم فَرَقَا
ظنُّوا المُوَكَّلَ بالأرواحِ قدْ صَعِقَا أو ريحَ عَادٍ من الخَرَّانِ مُنْطَلِقَا
لم يستَطِيعُوا لأصحابِ النبيِّ لِقَا

طارتْ قلوبُ العِدَا من بأسِهِمْ فَرَقَا فما تُفَرِّقُ بين البُهْمِ والبُهُمِ
اللّه أكْبَرُ والتَّوْحِيدُ فَخْرَتُهُ في السَّلْمِ والحَربِ والإسلامُ شُهرَتُهُ
بهِ تَصُولُ حَوَارِيهِ وعِتْرَتُهُ وتستَطِيلُ على الأعْدَا أَسِرَّتُهُ
حتى تَعُمَّ الذي نَاوَاهُ حسْرَتُهُ

ومن تكنْ برسولِ اللّه نصرتهُ إنْ تلقَهُ الأسْدُ في آجَامِهَا تَجِمِ

اللّه خَصَّهمْ بالنَّصْرِ والظَّفَرِ أنَّى يكونوا فلا يَخْشَوْا من الضَّرَرِ
كمْ جَحْفَلٍ مزَّقُوا بالمُرْهَفِ الذَّكَرِ شَهيدُهُمْ فازَ من مولاهُ بالوَطَرِ
وخَصْمُهُم باءَ بالإحراقِ في سَقَرِ

ولنْ تَرَى من ولِيٍّ غيرِ منْتَصِرٍ بهِ ولا من عَدُوٍّ غيرِ منْقَصِمِ
اللّه أظهَرَ في عالي أدِلَّتِهِ إن المكارِمَ من سامِي جِبلَّتِهِ
من رامَ عِزّاً فيَأتِيهِ بِذِلَّتِهِ يا من يخافُ كَخَوفِي سوءَ زَلَّتِهِ
إنَّ الذي نجا راجي مَحِلَّتِهِ

أحَلَّ أمَّتَهُ في حِرْزِ مِلَّتِهِ كاللَّيْثِ حلَّ معَ الأشبالِ في أَجَمِ
اللّه يكْلَؤُهُ في السَّهلِ والجَبلِ من كُلِّ حافٍ من العِدَا ومُنْتَعِلِ
وهو الذي قدْ أرانا أوضَحَ السُّبُلِ وجادَ بالجودِ في خَصْبٍ وفي مَحَلِ
وفَاقَ فَضْلاً على الأملاكِ والرُّسُلِ

كم جدَّلَتْ كَلِماتُ اللّهِ من جَدَلٍ فيهِ وكمْ خَصَّمَ البُرهانُ من خَصَمِ
اللّه أبْرَزَ آياتٍ مُعَزَّزَةً منهُ إلينا فأَضْحَتْ منهُ مُبْرَزَةً
بين الفَريقَينِ لا زالَتْ مُمَيِّزَةً يا ويلَ من ظَنَّها منهُ مُرجَزَةً
ألا تراها لكلِّ الخلقِ مُعْجِزَةً

كفاكَ بالعلمِ في الأميِّ مُعْجِزَةً في الجاهِلِيَّةِ والتَّأْديبِ في اليُتُمِ
اللّه قدَّرَ في مَكْنُونِ غيْهَبِهِ أنَّ الرَّسُولَ ضياءٌ يُسْتَضَاءُ بهِ
لما رأيْتُ قُلَيْبِي غيرَ مُنتَبِهِ ومَشْرِقَ العُمْرِ يَهوي نحوَ مَغْرِبِهِ
باللهوِ والسَّهْوِ والإمهَالِ والشُّبَهِ

خدمْتُهُ بمَديحٍ أسْتَقيلُ بهِ ذُنوبَ عُمرٍ مضَى في الشِّعْرِ والخِدَمِ

اللّه يهدِي الذي راقَتْ مَشَارِبُهُ ... والجَهْرُ بالسُّوءُ في الدُّنْيَا يُجَانِبُهُ
فالعَبْدُ لَمْ يَأْتِهِ يوماً مآرِبُهُ ... شِعْرٌ وحِرْصٌ بعُمرٍ ضاعَ غالِبُهُ
وقَلْبُهُ منهُمَا ضاقَتْ مَذَاهِبُهُ

إذْ قلَّدَانِيَ مَا تُخْشَى عَواقِبُهُ ... كأنني بهمَا هَدْيٌ من النَّعَمِ
اللّه يُلهِمُنِي رُشْداً يلِي حِكَماً ... عَسَى يَرَى سُبُلَ الخَيْراتِ بَعْدَ عَمَى
عينِي وقَلْبِي على التَّفْرِيطِ قدْ نَدِمَا ... مُذْ لاَحَ شَيْبِي على خَدَّيَّ وابتَسَما
بكيتُ حتى رأيتُ الدَّمْعَ منهُ دَمَا

أَطَعْتُ غَيَّ الصِّبَا في الحالَتَيْنِ ومَا ... حصَّلْتُ إلاَّ على الآثامِ والنَّدَمِ
اللّه يَعْزِلُ نَفْسِي عنْ إمَارَتِهَا ... على فُؤَادِي لِتَهْوِي في حَقَارَتِهَا
فَقَلْعُهَا عنْ هَواهَا منْ جَدَارَتِهَا ... وهَدْمُ بُنْيَانِهَا أَعْلَى عِمَارَتِهَا
وَرِبْحُهَا في رِضَاهَا منْ خَسَارَتِهَا

فيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ في تِجَارَتِهَا ... لمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بالدُّنْيَا ولمْ تَسُمِ
اللّه يُنْجِ فُؤَادِي مِنْ غَوائِلِهِ ... لأنهُ قَدْ تَمَادَى في تَجَاهُلِهِ
لا يَسْتَطِيعُ نَجَاةً منْ مُقَاتِلِهِ ... بَاعَ الجِنَانَ بِمَا يَجْنِي بِبَاطِلِهِ
واسْتَبْدَلَ الخُلْدَ بالفانِي كجاهِلِهِ

ومنْ يَبِيعُ آجِلاً منهُ بعاجِلِهِ ... يَبِنْ لَهُ الغَبْنُ في بيْعٍ وفي سَلَمِ
اللّه يُنْقِذُ قلبِي من هَوَى الغَرَضِ ... لأنهُ مِنْ هَوَى دُنْيَاهُ في مَرَضِ
قدْ باعَ جَوهَرَهُ المَكْنُونَ بالعَرَضِ ... لا يسْتَطِيعُ دِفاعاً ما عَلَيْهِ قُضِي
لكنْ عَظِيمُ الرَّجَى فيهِ على غَرَضِ

إنْ آتِ ذَنْباً فمَا عَهْدِي بِمُنْتَقِضِ ... من النَّبِيِّ ولا حبلِي بِمُنْصَرِمِ

اللّٰهُ يَمْحُو بِفَضْلِ منهُ سيِّئَتِي ... لأنهُ دائِمـاً عَـونِـي لِتَلْبِيَتِي
بِجاهِ مَنْ فيهِ أوصافِي وأثْنِيَتِي ... فيَا سُرُورِي بِهِ يَا طُـولَ تَهْنِيَتِي
بأحمَدٍ أرجَّي في الحَشْرِ تَمْنِيَتِي

فإنَّ لِي ذِمَّةً منهُ بِتَسْمِيَتِي ... محَمَّداً وهوَ أوفَى الخَلْقِ بالذِّمَمِ
اللّٰه يُطْفِي لَهِباً زادَ في كَبِدِي ... بجَاهِ خيرِ الوَرَى المَبْعُوثِ بالرَّشَدِ
ذَنْبِي عَظيمٌ ومنهُ قدْ وَهَى جَلَدِي ... يا خالِقَ الخَلْقِ يا سِتْرِي ويا سَنَدِي
ويَا مَلاَذِي ويا ذُخْرِي وَمُعْتَمَدِي

إنْ لمْ يَكُنْ في مَعَادِي آخِذاً بِيَدِي ... فَضْلاً وإلاَّ فَقُلْ يـا زَلَّةَ القَدَمِ
اللّٰه يُذْهِبُ عَنْ قَلْبِي مآثِمَهُ ... لأنهُ لـمْ يَزَلْ بالعَفْـوِ راحِمَـهُ
يا مَنْ يَخافُ غَداً خَوْفِي جَرَائِمَهُ ... تسْعَى بِنَا نَحْوَ مَنْ نَرْجُو مَرَاحِمَهُ
نبْكِي لَدَيْهِ لِيَسْقِينَا غَمَائِمَهُ

حاشَاهُ أنْ يُحْرِمَ الرَّاجِي مَكَارِمَهُ ... أوْ يَرجِعَ الجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمِ
اللّٰه بابُ الرَّجَا لا زالَ فاتِحَهُ ... بِفَضْلِ مَنْ قَدْ أَتَى القُرْآنُ مادِحُهُ
هو الذي لمْ يَزَلْ بالفَضْلِ مانِحَهُ ... فإنهُ يَمُّ فَضْلٍ عَمَّ سَابِحُهُ
مَدْحِي لَهُ طُولَ عُمْرِي لنْ أُبَارِحَهُ

ومُذْ ألزَمْتُ أفْكاري مَدَائِحَهُ ... وَجَدْتُهُ لِخَلاَصِي خيْرَ مُلْتَزِمِ
اللّٰه شَفَّعَهُ فينَا وقَدْ وَجَبَتْ ... لنَا إذِ النَّارُ منْ غَيْظٍ قَدِ الْتَهَبَتْ
يَرُدُّهَـا بِيَمِينٍ طَالَمَـا وَهَبَـتْ ... وطَالَمَا سُحْبُ إنْعَامٍ لَنَا سَكَبَتْ
وفَيْضُ فَائِضِهَا مِنهُ البِقَاعُ رَبَتْ

ولنْ يَفُوتَ الغِنَا منهُ يَداً تَرِبَتْ ... إن الحَيا يُنْبِتُ الأزْهَارَ في الأكَمِ

اللّه يَرْحَمُ رُوحاً بالهَوَى تَلِفَتْ ... ولَيْسَ إلاَّ على أحبَابِهَا عَطَفَتْ
فلاَ مَلاَمَ إذَا مَا مُقْلَتِي وَكَفَتْ ... ما الرُّوحُ راحَتُهَا إلاَّ إذَا وَقَفَتْ
بِبَابِ مَنْ جُودُهُ مِنْهُ الوَرَى غَرَفَتْ

ولَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا التي اقتَطَفَتْ ... يَدَا زُهَيْرٍ بِمَا أَثْنَى علَى هَرَمِ
اللّه آتَاكَ نُوراً يُسْتَضَاءُ بِهِ ... كالحَوْضُ يَنْجَى الذِي يَحْظَى بِمَشْرَبِهِ
وقَد رَجَوْتُكَ تَرْوِينِي بأَعْذَبِهِ ... وإنْ عَصَيْتُ وقَلْبِي في تَحَبُّبِهِ
فالآنَ صارَ مُحَيَّراً في تَلَهُّبِهِ

يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ ... سِوَاكَ عِنْدَ حُدُوثِ الحَادِثِ العَمَمِ
اللّه عَلاَّكَ يَا مَنْ هوَ أَجَلُّ نَبِي ... يا مَنْ يُرَجَّى لِمَا أَرْجُوهُ مِنْ طَلَبِ
يا زَاكِيَ الأَصْلِ والأَوْصَافِ يَا عَرَبِي ... أنتَ الشَّفِيعُ لِذَنْبِي يَومَ مُنْقَلَبِي
وأنتَ غَوثِي إذَا ما ضِقْتُ في نَشَبِي

ولَنْ يَضِيقَ رسُولَ اللّهِ جَاهُكَ بِي ... إذَا الكَرِيمُ تَحَلَّى باسمِ مُنْتَقِمِ
اللّه يُذْهِبُ عنْ نَفْسِي مَعَرَّتَهَا ... ويَصْطَفِيهَا ويُؤْتِيهَا مَسَرَّتَهَا
لعَلَّها أن تَرَى في الحَشْرِ قُرَّتَهَا ... وأَسْتَغِيثُ بِمَا يَنْفِي مَضَرَّتَهَا
يا سيِّدَ الرُّسْلِ آتِ النَّفْسَ نُصْرَتَهَا

فإنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا ... ومِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ الرَّحِ والقَلَمِ
اللّه يَرْحَمُ نَفْسِي أنهَا أَثِمَتْ ... كَمْ حَمَّلَتْنِي من الأَوْزَارِ كَمْ ظَلَمَتْ
وقَدْ تَجَرَّتْ على الآثامِ واجْتَرَمَتْ ... فقُلْتُ لَمَّ رأَيْتُ النَّفْسَ قدْ نَدِمَتْ
على الخَطَايَا وَبَابَ اللّهِ قَدْ لَزِمَتْ

يا نَفْسُ لا تَقْنَطِي من زَلَّةٍ عَظُمَتْ ... إنَّ الكَبائِرَ في الغُفْرانِ كاللَّمَمِ

اللّه يَمْحُو ذُنُوباً لستُ أعْلَمُهَا ... وإنْ عَلِمْتُ فَأُخفِيهَا وأكْتُمُهَا
أوَّاهُ عِنْدِي من الآثَامِ أعْظَمُهَا ... وَلَيْسَ أرْجُو سِوَى الرَّحْمَنِ يَرْحَمُهَا
إذَا أتيْتُ لِمَنْ بالفَضْلِ يَنْعَمُهَا

لعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَقْسِمُهَا ... تأْتِي على حَسَبِ العِصْيَانِ في القَسَمِ
اللّه عَوَّدَنِي في كُلِّ مُلْتَمَسِي ... إذا الخُصُومُ أتَوْنِي طالِبِي فَلَسِي
قلبِي جَرِيحٌ ودَمْعِي غَيْرُ مُنْحَبِسِ ... لكنهُ من رِضَا مولاهُ لمْ يَئِسِ
لأنهُ نُورُ أجْفَانِي ومُقْتَبَسِي

يا رَبِّ واجْعَلْ رَجائِي غيْرَ مُنْعَكِسِ ... لدَيْكَ واجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرِمِ
اللّه أرْجُو لقَلْبِي أن يُحَوِّلَهُ ... إلى رِضَاهُ وبالطَّاعاتِ يُشْغِلُهُ
عظِيمٌ وِزْرِي على ظَهْرِي فأثْقَلَهُ ... وسُوءُ قِسْمِي بَرَى جِسْمِي فأنْحَلَهُ
فَهَبْ لَهُ سَيِّدِي مَا كَانَ أمَّلَهُ

واللُطفْ بِعَبْدِكَ في الدَّارَيْنِ إنَّ لهُ ... صبْراً متَى تَدْعُهُ الأهوالُ يَنْهَزِمِ
اللّه يُؤْتِيهِ رُشْداً عِندَ صادِمَةٍ ... لأنْفُسِ الخَلْقِ كمْ جاءتْ بِهَادِمَةٍ
ولا تَدَعْهُ لِزَلَّاتٍ مُلازِمَةٍ ... وهَبْ لهُ يا إلَهِي حُسْنَ خاتِمَةٍ
من بعدِ زوْرَتِهِ سُكَّانَ كاظِمَةٍ

واْئْذَنْ لِسُحْبِ صَلاةٍ منكَ دائِمَةٍ ... على النبيِّ بِمُنْهَلٍّ ومُنْسَجِمِ
اللّه شاهِدُ ما أبغيهِ لي أرَباً ... وقد جَعَلتُ مَدِيحِي للرَّجَا سَبَباً
غريبَ مَدْحٍ خلاَ في سيدِّ الغُرَبَا ... صلَّى عليهِ الذِي أوحَى إليهِ سبَا
والآلِ والصَّحْبِ والأتْبَاعِ والنُّجَبَا

ما رَنَّحَتْ عَذَبَاتُ البَانِ ريحُ صَبَا ... وأطْرَبَ العِيسَ حَادِي العِيسِ بالنَّغَمِ

يَا رَبِّ بالمُصْطَفَى بَلِّغْ مَقَاصِدَنَا	واغْفِرْ لنَا مَا مَضَى يَا وَاسِعَ الكَرَمِ
واغْفِرْ إلَهِي لِكُلِّ المُسْلِمِينَ بِمَا	يَتْلُونَ فِي المَسْجِدِ الأقْصَى وفِي الحَرَمِ
بِجَاهِ مَنْ بَيْتُهُ في طِيبَةٍ حَرَمٌ	واسْمُهُ قَسَمٌ من أَعْظَمِ القَسَمِ
وهَذِهِ بُرْدَةُ المُخْتارِ قَدْ خُتِمَتْ	والحَمْدُ للّٰهِ في بَدْءٍ وفي خَتَمِ
مولايَ صَلَّ وسَلِّمْ دَائِماً أبَداً	على حبيبِكَ خَيْرِ الخَلْقِ كُلِّهِمِ

تم بحمد الله استنساخ قصيدة تسبيع البردة في يوم الخميس ٢ أبريل ٢٠٠٩. أرجو لي ولكاتبيها ولقرائها وللمسلمين كافة المغفرة والرحمة. آمين يا رب العالمين.

محمد الخمليشي